

من الأدب الإسباني

سراج

ألبرت كولا

ترجمة
٢. أشرف اللغميش

مسرحية



إلى نساء عائلتي،
إلى أليسيا كونزاليس لا وإلى أندريا سيكورا، صديقتي وجزء من عائلتي.

"مرة أخرى أنا، تماما مثلما لست أنا"
فرناندو بيسوا (برناردو سواريس)، كتاب اللأطمأنينة.

ممثلة، أو ثلاث ممثلات.
تدخن، (أو على الأقل واحدة منهن).
صالة مريحة.

فتحت الباب لأجد العجوز. كل شيء بدا غريبا منذ أن رن الجرس، هرولتي عند نزول السلام وظهور تلك المرأة. لم أندesh للصمت الذي حل بيننا نحن الاثنين عند فتحي للباب بدون قواعد مجاملة، دعونا من الكلام عن كيفية حدوث مثل هذه المواقف. رغم أنها لم تنبس بكلمة، أعتقد أن العجوز أتت متأخرة...

تتناقل شفتاها في لفظ اسمي، وكأنهما سينفلقان إلى أجزاء:

- "بلانكا"، - تنادي.

شفتاي أنا أيضا كأنهما مختومتان من تأثيرها. تكرر اسمي حتى أجيب. لا أجيب، لأنه لا يبدو لي من اللائق أن تصدح بصوتها العالي باسمي. اسمي، الذي هو أيضا اسمها. أخيراً تقولها:

- "أنا أملك. لقد جئت لأعتني بك".

أبتعدُ بنظري عنها، أنظر لأعلى، بين المنازل حيث يمكنك رؤية أفق مراكز الملهب. أتساءل أين أنت. أتساءل لماذا لا تساعدني في كتابة هذه الرسالة. هذه الرسالة هي أصعب شيء أقوم به على الإطلاق. لا أصدق أنها مجرد قطعة ورق. مجرد حروف على صفحات بيض يمكنها أن تدينني أو تنقذني للأبد. هي تتحدث، على الرغم من أنها تحدثني، لا يسعني إلا أن أتساءل عما إذا كنت ستأتي لاصطحابي في الوقت المحدد؟ أخوك سيصل هذه الليلة، متأخرا. هناك حفلة أخرى من تلك الحفلات البغيضة في السفارة. إذا كنت ستأتي، فسوف أضطر إلى الكذب للاعتذار. كيف أصف لك السرور الذي أحس به لمجرد التفكير في ذلك؟ ولكنك لا تجيب على الهاتف. لا شيء يحملني على البقاء هنا، هذا أكيد، ولكن في الوقت نفسه ولسبب غريب، أعتقد أنه لا يمكنني ترك هذا المكان. أيا كان ما أقرره، أعتقد أنني مخطئة. أيا كان ما أكتب لا أريد أن أكون هنا، لكن لا يمكنني أن أتخيل نفسي في مكان آخر. ما هذا الجبن الذي يحتاجني؟ والدتي لا تزال هناك. لا يتركها الفضول. تعود لفتح فمها مرة أخرى:

- "هل أنت متزوجة؟"

أومئ قليلاً:

- "زوجي لن يعود حتى ليلة الغد."

أبادر بسؤالها عن اسمها. أهو نفسه؟ أو بالأحرى هل يزال اسمها هو نفسه؟ للحظة اعتقدت أنه قد لا يكون لها اسم الآن، أو أنه لم يعد لها اسم، أو أنه لم يتبق لها اسم... لماذا كان عليها أن تأتي اليوم بالتحديد؟

- "بلانكا" - تقول قبل الدخول - "لم يكن من السهل الوصول إلى هنا. هذا المكان مخفي جداً".
تقولها مع ابتسامة صفراء، أثناء عبورها عتبة المنزل.

أدخلتها إلى استوديو خوان: أخوك لا يستخدمه أبداً، لم يعد يرسم ولا أي شيء. إنه لا يدخل فيه حتى. حقائبها لا تتسع هنا علينا إخراج حامل لوحات الرسم. إنه مغبر، مثل أي شيء آخر هنا، كذريعة، يجب أن أخبر أي أن لا أحد يدخل هنا على الإطلاق. أنا أيضاً لا أستطيع أن أكتب أي شيء هنا. في الحقيقة، الآن، بشكل عام، لا أدون ملاحظات حتى. وليس ذلك لضيق الوقت... إنها لا تسألني عن أي شيء، إنها منشغلة، تخرج ملابسها من الحقيبة وتعلقها في الخزانة. تبدو أكبر سناً؛ تعبر وجهها تجاعيد عمودية. أبدأ بالتعرق وأطلب منها أن تتركني. لكنها تهز رأسها رافضة. تذكرني أنني لست الوحيدة التي تعرق. أقدم لها بعضاً من عصير الليمون البارد، وأشغل المروحة ونجلس عند طاولة الصلاة. الحرارة تتراجع شيئاً فشيئاً. لا أستطيع تحمل ضجيج فمها عندما ترشف. تتكلم مرة أخرى:

- "دعيني أخبرك قصتي".

أومئ برأسي. حتى تصل أنت أو تخبرني على الهاتف، من الأفضل أن يمر الوقت بسرعة، أقول لنفسي.

وقت

- "لقد ولدت قبل أن يخترع والدك آلة رش الدواء. لم يفعل شيئاً سوى التصميم، لا شيء عدا الرسم والتصميم، لكن براءات اختراعه لم تدر شيئاً. من ناحيتي، نذرت ألا أذهب أبداً لرؤية ما كان يعجبني حقاً: المسرح. حتى لا ينقصني ما أطعمك إياه. عندما دخلت التلفزيونات حياتنا، اكتشفت أنه في صندوق العجب هذا مسرحية مزادة. قمت وركضت إلى الكنيسة لأستفتي الكاهن ما إذا كانت مشاهدة المسرح على شاشة التلفزيون إخلاف

لنذري، لم أكن لأحرمننا من الطعام من أجل ضربة زر. "ما هذا يا امرأة؟ طبعاً لا!" أخبرني، وضحك. كان ذلك في الفترة التي وصلت فيها والدي من الأرجنتين. أنت لا تتذكرين، لأنك كنت ما زلت تحبين، ولا زلت لا تمشين بعد حيناً لفظت روحها. والدك في مكتب براءات الاختراع، وأنا أغسل الملابس. أسمع أحدهم يصرخ باسمي في الساحة. من الشرفة المقابلة، تخبرني إحدى الجارات أن سيدة تسأل عني عند مدخل الشارع. أنزل الدرج مهرولة. ليس لدي أي فكرة عما يمكن أن تكون. لم يخطر لي على البال أن تكون أُمي. فتحت باب العمارة، لأجد مسنة جالسة على صندوق. لقد أحببت دائماً لعب البانصيب، كما تعلمين، لقد كنت مدمنة. فزت في مناسبة واحدة، لن تتذكرني ذلك أيضاً، لأنك كنت ما زلت طفلة. بذلك المال، كان بإمكانني شراء منزل، لكنه بدلاً من ذلك تراءى لي شراء شال مانيلاً. خبأت هذا الشال طوال حياتي في صندوق والدي هذا، هذا الذي هناك. لا أفهم ماهية ملئه بهذه الأوراق البالية... جاءت تقول لي: "أنا أملك. لم يتبق لي ممتلكات أكثر من هذا الصندوق. أعلم أنني تركتك في القرية، عندما كنت طفلة. لكنك كاثوليكية، وواجبك كابنة هو بري. كنت دائماً خائفة من أن أصبح جزارة مثلها، الزواج من والدك أنقذني من ذلك الجحيم. أول شيء رأيته كان يديها المليئة بآثار الجروح. قمت بإدخالها، لأنني كنت قد لمحت في كل نافذة في الحي امرأة واحدة على الأقل... جدتك لا تريد الماء ولا الخبز حتى. لم ترغب حتى في الجلوس على كرسي، لقد كانت عجوزاً ملتصقة بصندوق. كانت تتحدث كمن يفعل ذلك في اللحظة الأخيرة: "كنت أقطع اللحم جيداً". قالت: "منذ أن كنت طفلة وأنا أرغب في أن أكون جزارة. سخر والدك مني، قبل موته: "كيف يمكن لشخص يحمل هذا الاسم الحساس أن يكون لديه محل جزارة؟ بلانكا، الجزارة!". صرخ ضاحكاً. "دائماً كان والدك يريد المشاركة في الحرب، حسب ما فهمته، جرب أولاً في حرب كوبا، لكن سنه لم يكن يسمح بذلك، أخبروه أنه كان يافعا جداً حينها، لكنه أصر على الذهاب للحرب، لذلك عندما اندلعت حرب المغرب سجل اسمه في اللوائح أيضاً، ولكن لم يتم اختياره، وهكذا حتى حرب الريف، "الثانية"... وفي هاته نعم، نعم يا ابنتي، نعم هذه نعم..

على الرغم من أنه كان قد أكل عليه الدهر وشرب وكنت أنت في الأفق ... "إنه واجبي". قال: الوطن، وتلك الأشياء. كان واجبه أن يكون هنا معك، ومعى أنا. تمنيت لو لم يسعفه الحظ... لماذا اضطر إلى المغادرة؟ من أجل الوطن؟ حقا؟ حسنا، هناك انتهى. بعوضة لدغت صلته فمات بالتيفويد، تحت الشمس. بعد ذلك، لم يسخر أحد من اسمي، ومجزرتي كانت مزدهرة. جاء الناس من البلدات المجاورة لشراء اللحم. كان طريا كالعسل، بالكاد يكون فيه أعصاب وكان من دون عظم. فرانسيسكو كان الغلام الذي يزودني باللحم. عندما توفي والدك، لا أعرف ما إذا كنت حينها عملت بمزيد من المتعة، لكن التجارة كانت أفضل. وكان فرانسيسكو يأتي أكثر فأكثر لجلب اللحم. في فترة معينة كان يأتي ثلاث مرات في الأسبوع. كنا نخب التدخين معا. في بعض الأمسيات كنا نخرج للتدخين في ساحة المجزرة بعد تفريغ كتل اللحم ومراقبتها. كنا نتحدث وندخن كثيرا، كم كان مسليا. كانت السجائر تتلطح بالدماء. أنا حينها كنت أرملة وهو كان متزوجا. لم يكن شيء ليغير حياتنا. لم أندم أبداً على ما حدث. كنت سعيدة جدا لكنه بدأ يطلب مني المال. في الحقيقة، في كل مرة أكثر. بالطبع، كنت أدفع بسرور". قالت. "لقد كانت زوجته مريضة، أو هكذا قال. لم أكن أرغب في أن يشيع ذلك في البلدة، حتى لا يتوقف أولئك السفلة عن التسوق من مجزرتي. "بلانكا، الجزارة الزانية." سمعت والدك يقول في مخيلتي. فرانسيسكو كان يمثل لما كنت أطلبه منه وأنت كنت محمية ماديا. لم أكن بحاجة إلى العار. فيم يفيدني تقطيعي الجيد للحم إذا كنت أكسب أموالاً أكثر من حاجتي للعيش؟ كنا جميعا راضون على هذا الوضع. لكن باكتو بدأ يطلب مني المزيد والمزيد. سألني الكثير، لم أكن لأمنحه ما كان لك.

كان باكتو في تلك الليلة يشرب كعادته في البار. أفشى سرنا أو تم استدراجه، كيف عساي أن أعرف؟ كان سكان القرية يكونون لي كرها ليس بالقليل، بسبب الياصيب الذي فزت به. وغيره كذلك، فلم تبرع إحداهن في تقطيع اللحم مثلي. القطع السميكة التي كنت أمنحها، البقايا التي وهبتها لصنع الكروكيت، كل رشاوي الحماية لم تجديني نفعا معهم... كانت أوقاتا مظلمة وكان الناس في جهل عظيم. في اليوم التالي، لم يكن في المجزرة حديث غير هذا. فتى المسلخ يعاكس بلانكا الجزارة. رميتهم جميعاً خارج المحل وأغلقتهم. بعد ظهر ذلك اليوم نفسه رحلنا

في سيارة إلى برشلونة. هناك، فتحت مجزرة ثانية. صدقيني، لقد حاولت حقًا. هربت إلى برشلونة، نعم، لكن المسافة لم تكن كافية. بعث المحل ووهبتك للدير للتبني. وكلت الراهبات على مالك. اعتقدت أنك ستكون أفضل من دوني، وتلك الأشياء. لم أكن أريد شهادات حية لعاري. بمرور الوقت، كنت ستكبرين وستحكيين علي. لقد انتهى الأمر بأسوأ حال. المهم، كل شيء كان يحدث في أسوأ حال. لهذا انتهيت إلى أنه بين القيام بشيء ما وعدم القيام به، من الأفضل دائمًا عدم القيام به... أبحرت في نفس الليلة التي تركتك فيها. في الباخرة، انهار سقف المقصورة المتعفن علي. اخترت الأرجنتين لأنني كنت أحترف تقطيع اللحم، بالطبع. فتحت مجزرة في بوينس آيرس. هناك أيضًا، كان العمل مزدهرًا، لكنني ظلمت أفكر في فرانسيسكو. الجميع يخطئ، أعلم أنه أحبني بل كان الشخص الوحيد الذي أحبني حقًا، وما إلى ذلك. المرأة تعرف هذا، أنت الآن تعرفين ذلك. أكثر من هذا، كتبت له بطاقة بريدية، نعم، نعم، كتبتها...

في الليل، ناجيتك في خاطري كثيرًا، لكنني كنت أخشى أن أكتب إليك. قالت لي مرارا وتكرارا: ابنتي، هل تتفهميني؟ ... بعد بضعة أشهر طرق فرانسيسكو باب متجري. ومعه زوجته وابنه. والآن ماذا أفعل بهؤلاء؟، لقد دمرني وندمت. كان هذا وصوله ""-تقول أمي.

وقت

أمي تروي بالفعل قصتنا. قصة تخيلتها منذ سنوات، أعدت كتابتها مرارًا وتكرارًا في رأسي، غير قادرة على خطها على الورق. وبعد أن أخبرتني، الآن ما أريده حقًا هو أن تسأل عني. لكن يبدو أن قصتي لا تهمها كثيرًا. قررت أن أستسلم لسردها. ربما عندما تنتهي، لن تكون هناك حاجة للسؤال عن قصتي.

وقت

"اختفاء جدتك كان بعد شهر واحد فقط من وصولها، في إحدى الليالي لم تعد من مسيرتها اليومية".

أمي تتردد. تأخذ نفسًا وتقول:

"لم تظهر طوال الليل. حسنا، ولا أنا بحثت عنها. تعايشنا كان صعبا. كان غيابها خير من وجودها. لدرجة أنني تمكنت من النوم تلك الليلة. كانت أحلامي سلمية إلى أن استيقظت. غفلت عن اختفاء أمي، كنت أشرب القهوة عندما سمعت أصواتاً تناديني من الساحة مرة أخرى، تدعوني للركض إلى المقبرة، شيء يخص والدتي. عند نزولي، قالت الجارات أن حارس المقبرة وجدها هناك في الصباح. بقيت محبوسة طوال الليل. سألت كيف كان ذلك، لكن لا أحد أجاب، أو قالوا إنهم لا يعرفون. كنا كثرًا. قادنا الحارس إلى أمي. جثة هامدة، في قبر فارغ، هي من أدخلت نفسها فيه. بلانكا، ابنتي، أشعر بتعب شديد، هل تمنعين أن أستلقي قليلاً ثم نكمل بعدها؟"

وقت

متعبة؟ تركتها تذهب إلى الاستوديو، ماذا أقول لها؟ بينما تستريح، أعد في المطبخ المزيد من عصير الليمون ليبرد. الحرارة لا تطاق... لا أفهم جيدًا ما يحدث، أنا أعد عصير ليمون لأمي التي لا تشربه أصلاً! ألم تقل إنها جاءت لرعايتي؟ لماذا تذهب هي لتستلقي وعلي أنا خدمتها؟ لماذا في مثل هذا الوقت السيئ؟ لماذا بالضبط الآن بعد أن قررنا المغادرة؟ لكنني لن أتردد، لن أسأل نفسي إذا كان علي المغادرة أم لا؟... لم أرها منذ أن كان عمري سبع سنوات... اليوم لن أوبخها بسبب غيابها، لا. أريد أن أعرف ما لديها لتقوله، فهم الأسباب التي لم أكن مسؤولة عنها، والتي دفعنتي للعيش بهذه الطريقة. لتترك كل شيء ومرافقة خوان إلى هنا. في هذا المكان الذي لم أستطع مغادرته حتى الآن. سوف تساعدني أنت على الهروب منه، لأن هذا سيحدث. خوان سيكون بخير. بعد مدة أو أخرى. ماذا كان سيحدث لي لو لم يصلك خوان بالسفارة؟ أخوك خوان لم يهتم بي. في

الحياة، لا يكفي أن تكون طيباً. لا يمكنك أن تكون أفضل صحبة فقط. أعلم أنه ليس من العدل أن أقول ذلك، لكنني قلته بالفعل. لقد انتظرت كثيراً لا أستطيع الانتظار لفترة أطول. وصول أمي، قصة جدتي، تسارع كل شيء بشكل أنساني مشاكلي الخاصة. لا أستطيع إخراج صورة المقبرة من مخيلتي. لدي الآن فرصة سانحة للإجابة عن الأسئلة التي طاردتني منذ صغري. لماذا اختفت؟ لماذا لم يتحدث عنها أي؟ لماذا لم تسأل عنه؟ هل تعلم أن أبي مات؟ لا. الآن، أنا لا أريد أن أقاطعها. سوف أسمع ما يجب أن تقوله فقط. عندما تنتهي من الثثرة، أمل أن أتذكر بعضاً من هذه الأسئلة.

وقت

شاردة في أفكاري، أنسى إيقاف الخلاط الكهربائي.

- "يكاد يتطاير منه الشرر" يقول صوتها ورائي.

لا أستطيع أن أكم سؤالي. أواجهها: لماذا لا تسأليني عن والدي؟

- "كتب لي والدك قبل وقت قصير من وفاته. في كل هذه السنوات تكاتبنا مرتين أو ثلاث مرات. لهذا السبب كان لديه عنواني. كنت أسأله عنك، في المرة الأخيرة كتب لي لأنه أراد أن يقول وداعاً في سلام. أخبرني عن مرضه وكيف اعتنيت به. اعتقد أنه حان الآن دوري أنا لرعايتك".

الآن؟ تم سحق الثلج تماماً، أضيف له النعناع، تطلب مني ألا أضيف السكر. أقدمه في كأسين ونجلس هناك في المطبخ، ترشف بجرعات كبيرة. يا إلهي، تلك المرأة لا يؤثر فيها حتى الليون!

- "لم أعتذر لوالدك، أنا أعتذر الآن منك أنت من خلال شرحي... لقد وضعتك بالفعل في السرير، عندما

جلست لقراءة الصحيفة" تقول.

وقت